قراءة في مشروع المفكر المغربي"عبد الله العروي"

بقلم: د. نصيرة بوطغان

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2

ملخص:

يحاول هذا المقال إجراء قراءة علمية متفحصة في أعمال المفكر عبد العروي من خلال عرض أفكاره في العديد من القضايا الراهنة ومحاولة مقارنتها مع أفكار مفكرين آخرين ونقدها من أجل وموضعتها في الحقل المعرفي الراهن، وذلك وفق العناصر التالية:

أولا- في اعادة تأسيس علاقتنا مع الغرب الحضاري:

ثانيا- سؤال الهوية و الآخر.

ثالثا- الماركسية حتمية تاريخية ام خيار منهجي.

رابعا- الموقف الفلسفي من الحداثة.

خامسا- أشكال الوعي الذاتي و ظاهرة التخلف.

سادسا- الأيديولوجيا و ظاهرة الاغتراب.

سابعا- مستقبل الحداثة العربية.

ثامنا- عوائق التحديث و امكانات التجاوز.

تاسعا- في نقد أطروحة العروي.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

تمهيد:

من الصعب الإمساك بمحددات أطروحة المفكر المغربي "عبد الله العروي" (1933م) لما امتاز به هذا المفكر من موسوعية فهو يكتب بثلاث لغات بالإنجليزية و الفرنسية و العربية، كما أنه حاور أغلب الفلسفات فكان مستمعا جيدا و ناقدا عنيفا. ضف الى ذلك أنه اعتمد أسلوبين مختلفين في التعبير عن آرائه، أسلوب الرواية، والأسلوب الفلسفي هذا ما يجعل من خطابه- العروي- متميزا عن الخطابات الفلسفية المعاصرة. لأنه حاول تأسيس نموذجا (Paradigme)معرفيا مستقلا مختلفا عن باقي النماذج المطروحة في الساحة الثقافية والفكرية.

عمل المفكر على تقديم دراسة شاملة لمكونات التاريخ الإنساني والأزمة الثقافية التي تعيشها المجتمعات العربية راهنا منذ عمله" الأيديولوجية العربية المعاصر 1967"، الذي أعقبه بجملة من الأعمال المهمة بالشأن العربي، عبر تبني المنهجية التاريخية في صورتها الماركسية على اعتبارها تحمل قيم بإمكانها توحيد البشرية. عمل يجمع فيه بين التنظير والعمل بين معطيات الواقع ومتطلبات المستقبل متجاوزا التيار السلفي المحافظ والتيار العلماني المعاصر عن طريق محاولته تقديم تفسيرا تاريخيا لأسباب تخلفنا وخروج مجتمعاتنا من التاريخ وتحولها من المركز الى الهامش وفق منهجية نقدية تاريخية صارمة، كما تركَز مشروع العروي في محاولة الانخراط في عمق الواقع العربي، لكونه نقدا جذريا للفكر السائد ومرجعياته ومسلماته، وفي المقابل يقترح فكرا بديلا يسهم في توجيه الفعل، بغية تحقيق شروط الحداث، ذلك في مجموعة أعمال هي عناوين لمكونات أزمتنا أهمها:

" الإيديولوجيا العربية المعاصرة" (1967) ، بالفرنسية تم تعريبه من قبل محمد عيتاني وتقديم مكسيم رودنسون سنة 1970؛ "العرب والفكر التاريخي" سنة 1973؛ "أزمة المثقفين العرب" سنة 1974؛ "أصول الوطنية المغربية" سنة 1977؛ "مفهوم الإيديولوجيا" سنة 1980؛ "ابن خلدون وماكيافيللي" في سنة 1990؛ "مقاربات تاريخية" في 1992؛ "مفهوم التاريخ" جزءان سنة 1992 ؛ "مفهوم العقل" 1996؛ بالفرنسية (Islamisme Modernisme Libéralisme) سنة 1997؛ وبالفرنسية (Le Maroc et Hassan II – un témoignage) "المغرب والحسن الثاني" سنة 2005؛ "عوائق التحديث" محاضرة ألقيت في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2005/12/15 نشرت مع تعليقات عن طريق منشورات اتحاد كتاب المغرب سنة 2008؛ ويمكن أن نشير الى بعض الأعمال الأدبية: مثل رواية "الغربة" في 1971؛ رواية "اليتيم" 1978؛ رواية" الفريق" 1986؛ رواية "غيلة" 1998؛ "أوراق" وهي عبارة عن سيرة ذاتية سنة 1989؛ "خواطر الصباح" 2001؛ وغيرها من الأعمال التي تؤسس للحداثة العربية.

من خلال هذه الأعمال وغيرها حاول المفكر "عبد الله العروي" أن يقدم خطابا Discours فكريا يدعو فيه إلى ضرورة الدّفاع عن الفكر التاريخي والتوجه التاريخاني، قائلا: «إن الترياق الوحيد حتى الآن ... لكل مثقف عربي هو التاريخانية، فإنقاض قيمتها هو في نظرنا شكل من أشكال العدوان الثقافي»[1] لهذا مشروع "عبد الله العروي" يهدف إلى تجاوز التأخر التاريخي. ويعد من الداعين الى القطيعة المعرفية والابستيمولوجية مع التراث الإسلامي وتبني الحداثة الغربية وقيمها لأنها قيم كونية انسانية فكيف فسّر المفكر "عبد الله العروي" ظاهرة التخلف؟ وما هي الأسباب الفعلية التي أدت بمجتمعاتنا إلى الخروج من التاريخ؟ كيف تتم عملية التحديث والعودة إلى التاريخ؟

أولا- في اعادة تأسيس علاقتنا مع الغرب الحضاري:

لا يمكننا تحديد الأسباب الفعلية لتخلفنا إلا بالعودة إلى التاريخ في نظر " العروي" هذا ما يجعل من أعماله مهمّة لكونها تحيلنا إلى دور الثقافة الفلسفية وعلاقتها بالعصر ومع الآخر ومعرفة مستويات التعامل مع الغرب الحضاري. ولفهم مشروعه نشير إلى أن المرتكز الذي يدور فكره حوله هو الحداثة. فكل ما كتبه إلى الآن يمثل أصول من مؤلف واحد حول "الحداثة"، ويستطيع القارئ أن ينتبه إلى هذا، فقد انطلق من نقد كل الأطروحات الحداثية بنقد مسلّماتها الإيديولوجية ومرجعياتها الفكرية من اللحظة الأولى مبينا "طوباوية" بعض المشاريع وما انطوت عليه في نظرتها لهذا الواقع التاريخي الرّاهن. ليكشف لنا أن الكثير من الأطروحات تفتقر للنقد التاريخي لهذا عجزت عن خلق وعي حداثي شامل كما أسهمت في خلق تأخر تاريخي شامل.[2]

[1]- عبد الله العروي: أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية؟" ترجمة. ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت 1978 ص112.

[2]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتأخر سببه غياب الوعي التاريخي المطابق لواقعنا مما جعل المثقف العربي يعيش منذ صدمة الحداثة تأخر مضاعف تمثّل في تأخر وعيه عن وضعه التاريخي. ومن مظاهر التخلف الأطروحات الانتقائية للمشكلات التاريخية. وفعل التجزئة وعدم الانفتاح على المناهج الحديثة في التحليل، وما هو معتمد تقليدي بعيد عن مكتسبات العقل الحداثي ومتطلّباته النقدية.

كغيره من المفكرين -"عبد الله العروي"- الذين واجهتهم أسئلة اشكالية اقتضت منه إجابات واضحة مثل مكانة العرب في ظل التطوّر التاريخي، خصوصيته الحضارية، حقيقته الذاتية، أسباب تخلفهم الفكري والحضاري كيفيات التجاوز واستيعاب الآخر المتقدم؟

ثانيا- سؤال الهوية والآخر:

إن هم المفكر العربي الأول هو تحديد هويته وما يطلق عليها "العروي" "بمسألة الذات" لكن من المعلوم إن كل تعريف تحديد أي نفي واقصاء، فكلما قال العربي "أنا" فإنه يشير ضمنيا إلى "الغير"، ومن "الغير" بالنسبة للعرب سوى الغرب؟ فالذات العربية في نظر "العروي" مطالبة بالتواصل مع الغرب لتدرك ذاتها، ليصبح الآخر شرط لإدراك الأنا على طريقة المفكر الفرنسي بول ريكور Paul Ricoeur (2005/1913). ودعوة " العروي" إلى ضرورة الانعطاف على الآخر لمعرفة الذات، يعني أنه تحاور مع الكثير من الأطروحات الفلسفية، أنه يرفض مقولة امكانية اكتفاء الذات بنفسها، ليصبح سؤال الآخر اكثر أهمية من سؤال الوجود، فلقد أحس "العروي" كمفكر أن مسؤوليته تقتضي معرفة الآخر وكيف يقدم نفسه لكي نتقن نحن تقديم أنفسنا في صورة كونية مؤسسة على وعي ومعرفة، ولا يعني أنه من دعاة التماهي في الآخر، وهنا يلتقي مع أطروحة الفرنسي "ايمانويل ليفناس Levinas Emmanuel الذي يقول:" نحن محاطون بالموجودات وبالأشياء حيث نتعهد معها بعلاقات، عن طريق النظر واللمس والتعاطف وبالعمل المشترك، فنحن مع الآخرين. وكل هذه العلاقات انتقائية: ألمس أشياء، أرى الآخر، لكن أنا لست الآخر."[1]

[1]-Levinas Emmanuel. Le temps et l autre. Edition PUF. Quadrige. Paris, 1983.p21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن التواصل مع الآخر هو شرط تمثل التاريخ، يقول الدكتور عبد الله العروي: « نستطيع أن نقرر أن التاريخانية هي فلسفة كل مؤرخ يعتقد أن التاريخ وحده العامل المؤثر في أحوال البشر، بمعنى أنه وحده سبب وغاية الحوادث»[1] والتاريخ هو جملة الانتصارات والاخفاقات في علاقتنا مع ذاتنا الحضارية وقيمها الكونية، لتصبح مسألة التاريخ هي المشكلة الثانية بعد سؤال الهوية والذات، وهي تشتبك مع مسألة التعبير عن الذات وكيفية تقديمها للآخر في صورة اكثر كونية دون اقصاء المختلف، وتقديم الذات يقتضي منهجا صارما للإسهام في اغناء التجربة البشرية علميا وقيميا، ويلخص لنا "العروي" المشكلات التي يمكن أن تكون موضع انهمام الباحثين في أنها لا تخرج عن البحث في الهوية، الماضي، العقل الكوني، الفن المطابق، ويجمل الاشكاليات في :" الأصالة، الاستمرارية، الكونية، التعبير"[2] لكن منهجيا كيف نشكل الوعي بالذات لنقدمها للآخر في صورة كونية؟

ثالثا- الماركسية حتمية تاريخية ام خيار منهجي:

اهتم " عبد الله العروي بمسألة المنهج عندما يقترب من قضايا ومشكلات الفكر العربي. لذلك توجهه كان توجها معرفيا (إبستيمولوجيا) وليس (أنطولوجيا). والمنهج يرتكز على جانبين أساسين. الأول هو الجانب التاريخي (أو التاريخاني) أين يستعمل مواد التاريخ العربي خاصة في (مفهوم الأيديولوجية). والجانب الثاني أهم لأنه مرتبط بالبعد التأسيسي "Foundational"، وهنا نجده متأثرا بالفلاسفة التأسيسيين أمثال ديكارت، وكانط، هيغل، وماركس، وإذا أتينا الى مفكرنا عبد الله العروي فإننا نلحظ هذا الجانب في سلسلة من المفاهيم نذكر بعضها(مفهوم الإيديولوجيا، مفهوم العقل، مفهوم الحرية، مفهوم التاريخ، مفهوم العقل، مفهوم الدولة).

يوضح العروي الجانب التأسيسي في منهجه، وطبيعة المفاهيم التقعيدية وسأورد قولا مطولا يوضح فيه هذا الجانب يقوله: "إننا لا نبحث في مفاهيم مجردة لا يحدها زمان ولا مكان، بل نبحث في مفاهيم تستعملها جماعة قومية معاصرة هي الجماعة العربية. إننا نحلل تلك

[1]- عبد الله العروي : مفهوم التاريخ ، المركز الثقافي العربي، بيروت -الدار البيضاء، 1992، ج2، ص 349.

[2]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص25.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المفاهيم ونناقشها لا لنتوصل إلى صفاء الذهن ودقة التعبير وحسب، بل لأننا نعتقد أن نجاعة العمل العربي مشروطة بتلك الدقة وذلك الصفاء. لهذا السبب نحرص على البدء بوصف الواقع المجتمعي: آخذين المفاهيم أولا كشعارات تحدد الأهداف وتنير مسار النشاط القومي. وانطلاقا من تلك الشعارات نتوخى الوصول إلى مفاهيم معقولة صافية من جهة ونلتمس من جهة ثانية حقيقة المجتمع العربي الراهن. رافضين البدء بمفاهيم مسبقة نحكم بها على صحة الشعارات إلى جانب تخلينا عن لعبة تصور واقع خيالي نعتبره مثلا أعلى نقيس عليه الشعارات، لأننا نعتقد أن أيسر مدخل إلى روح أي مجتمع هو مجموع شعارات ذلك المجتمع"[1]. والمفاهيم التي ينحتها العروي ليست مفاهيم جاهزة وانما هي كائنات تاريخية اراد عبرها التأسيس لنسق فلسفي منسجم.[2]

عمل العروي على استبعاد المنهجية التجريبية الساذجة، والطريقة الوضعانية لأنها خارجية. فالأولى تركز في الثقافة دون الانتباه الى بعدها التاريخي، في حين الثانية تتنكر لكل الدراسات السابقة وتكتفي بالوصف من الخارج دون البحث في الأصول والمنشأ، معتمدا سلما قيميا يعتقد أنه صارما يتمتع بالصلاحية المطلقة، والوضعية تفترض ثبات الواقع المدروس، معتمدة مناهج العلوم الطبيعية حتى في مواضيع غير طبيعية، لهذا تتعارض والمنطق الجدلي الذي يفترض أن الواقع دائم التحول، وغير قابل للتعريف وهنا وجه " العروي" نقدا لوضعانية " أوغست كونت".

وتنتهي المنهجية الأولى الى أحكام ذاتية وعن الثانية تحليلات سطحية جامدة، وكلا المنهجين يتنكر للتاريخ، فتكون النتيجة عدم فهم الواقع، بقدر ما يتم تغريبه، هذا الخطأ المنهجي والمعرفي وقع فيه الكثير من الباحثين العرب، بسبب تعاطفهم مع الواقع دون قراءته في التاريخ يقول:" إننا نعيش كلنا، اجتماعيا وثقافيا، تحت تأثير خارجي، نفكر بمفاهيم، نعبر

[1]- عبد الله العروي: مفهوم الحرية، المركز الثاقي العربي بيروت، ط5، 1993، ص05.

[2]- عبد الله العروي: مفهوم العقل، المركز الثاقافي العربي المغرب، ط3، 2001، ص14.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بأساليب وأمثلة كلها مستقاة من واقع غيرنا. اذ لم نبدأ بتحليل دقيق وصارم لكل الأدوات الذهنية التي نستعملها."[1]لهذا يوصف " العروي" الفكر العربي بالفكر السطحي الساذج.

كما توجه بالنقد للمنهجية الأثنوغرافية أو السوسيولوجية التي تحاول دراسة الأعمال الثقافية دراسة موضوعية مجردة، فإن هذه المنهجية مؤسسة على مفهومين متداخلين، مفهوم العقل الموضوعي على الطريقة الهيغيلة، التي تفيد أن الفكرة مجسدة في المادة (الطبيعة)، ومفهوم " البنية الذهنية" التي تقابل في فلسفة "ماركس" Marx البنية الاقتصادية والاجتماعية، فالمفهوم الأول ينسجم مع الحضارات الجامدة الساكنة، أين استقل العمل الثقافي عن الطبيعة وعن مبدعيه، وأضحت العلاقة علاقة تماهي حتى تختفي الأبعاد الانسانية، في حين البنية الذهنية التي تطلق على مجموعة من النشاطات الانسانية الراقية من أدب، فن، فلسفة، عقيدة، قانون، فيها لا يمكن التمييز بين الوعي النقدي والبعد المادي، لأن الوعي النقدي يتجه الى البنى الاجتماعية لتغييرها، خاصة اذا توجه صوب الماضي وعمل على اختراق المنغلق، لذلك مفهوم البنية يكون له دور ايجابي في المجتمعات التي تتجه صوب المستقبل بثبات وبهدوء.

هذه المفاهيم لا تصلح في نظر " العروي" للمجتمعات العربية الراهنة التي تعيش مرحلة تاريخية عنيفة، لا هي جامدة ولا هي متطورة، فالعنف يهدد كل ما هو انساني، يهدد كل ما هو عقلاني منطقي، يقول:" العنف يزرع الرعب، والرعب يؤدي الى الخضوع والانقياد، هناك علاقة عضوية، قائمة ودائمة بين الخوف والاستبداد."[2] فالمجتمعات العربية انتقلت من استبداد الانظمة الى استبداد الشعوب ضد نفسها، ضد مقومات انسانيتها، انها تعيش اقصى انواع واشكال عنف مكونات الهوية، لهذا يطرح "عبد الله العروي" اشكالية موقع المفكر في ظل هذا الوضع المضطرب؟ كيف يفكر بهدوء في ظل الغليان؟ كيف يمارس الوعي النقدي على وضع يعادي الانوار؟ وضع اضحى فيه المستقبل حاضر والماضي حاضر والحاضر مفقود؟ إننا مسلوبو

[1]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص26.

[2]- عبد الله العروي: من ديوان السياسة، المركز الثقافي العربي المغرب، (د.ت)، ص12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مؤشرات النقد لتسيطر الأيديولوجيا والرغبة والتمني، لهذا استبعد "العروي" المنهجية التجريبية والوضعانية.

رابعا- الموقف الفلسفي من الحداثة:

تعد المفاهيم والمقولات النظرية لفكر الحداثة الغربية وفكر الأنوار الذي عرفته المجتمعات الأوروبية في مرحلة من مراحل صيرورتها التاريخية ما بين منتصف القرن الخامس عشر(15م) والثامن عشر(18م). بمثابة الأنموذج الذي ينبغي على العالم العربي والاسلامي اعتناقه بعد وعيه دراسة وتحليلا ونقدا، في نظر " عبد الله العروي" وتعد أطروحات الفيلسوف كارل ماركسMarx المرجعية التي يستقي منها العروي تصوراته باعتباره منظرا أولا للحداثة وناقدا لمآلاتها ومشكلاتها ثانيا إلى جانب (فرويد ونيتشه) في القرن التاسع عشر. وقد أشار العروي الى ذلك في عدة مواضع فنجده يقول:" لا مبرر لهذه الدعوة إلا فرضية واحدة، مستخرجة من واقع التاريخ ذاته، وهي أن الدور التاريخي الغربي الممتد من عصر النهضة إلى الثورة الصناعية هو المرجع الوحيد للمفاهيم التي تشيد على ضوئها السياسات الثورية الرامية إلى إخراج البلاد غير الأوروبية من أوضاع وسطوية مترهلة إلى أوضاع صناعية حديثة. ليست هذه الفرضية فكرة مسبقة بل نتيجة استطلاع التاريخ الواقع. وهي المبرر الوحيد لحكمنا على السلفية والليبرالية والتقنوقراطية بالسطحية وعلى الماركسية بأنها النظرية النقدية للغرب الحديث، النظرية المعقولة الواضحة النافعة لنا في الدور التاريخي الذي نحياه"[1].

يرى " العروي" في أعمال " ماركس" خلاصة عصره ومهندس الخارطة الاوروبية في جانبها الفكري ومنظر للحداثة وناقدا لها ومصححا لمصارها، لهذا يدعو الى قراءة ماركس قراءة علمية وجعله بمثابة المعلم والمنقذ لوضعنا الثقافي الر اهن. وبناءا على هذا الموقف الفلسفي من فلسفة ماركس Marx حاول العروي التعامل مع مشكلات الحداثة العربية والأطروحات المختلفة التي قدمها الحداثويين العرب ومن ثم الحكم على التراث العربي الإسلامي. وهو مدرك الى درجة الوعي بأنه سيتعرض للنقد في هذه النقطة لأنه يحاكم التراث باستخدام مفاهيم

[1]- عبد الله العروي: مفهوم الأيديولوجية، مصدر سابق، ص 125.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خارجة عنه، لا تنتمي الى فضائه الثقافي والمعرفي وحتى المنهجي، ورغم ذلك رأى العروي في موقفه الفلسفي موقفا عقلانيا وصحيحا وذلك بطبيعة الحال بناءا على مقولة وحدة الإنسانية والمصير المشترك. يقول لهذا :" أحكم على التراث انطلاقا من مفاهيم غير نابعة من صلبه. وأدعي أن كل من يعيش في زماننا هذا، من يعتبر نفسه ابن هذا الزمان، لا يستطيع أن يفعل غير هذا. ..إني أنطلق من مفهوم هو وليد تطور تاريخي وأطبقه على مادة افترض أنها سائرة إلى التطابق معه. أفعل ذلك وأنا واع بالصعوبات المترتبة على هذا الإجراء، إلا أنني أدعي أن لا إجراء غيره، للسبب المذكور سابقا. أعي أني أجعل من سيرورة غير مؤكدة دليل صحة تطبيق المفهوم."[1]

فكر العروي في مشكلات العالم العربي انطلاقا من رؤية كونية عبر الماركسية كحتمية تاريخية لا تعترف مستقبلا بالاثنيات مستفيدا من منجزات العلوم الانسانية والاجتماعية التي يرى فيها منتج انساني ينبغي اعتماده لتعميق فهمنا لأزمتنا الحضارية.

العالم العربي يفتقد الى الحس التجريدي النظري بغية التفكير عبر الأنساق، هذا ما يعرف عند العروي بـ"الأدلوجة" التي تسعى إلى تجاوز منطق الأحكام الجاهزة. ويعد مفهوم الأيديولوجية من أكثر المفاهيم جدلا فنجد المفكر كارل مانهايم يرى بأن " الايديولوجيا هي الوعي الزائف بالذات"، والايديولوجيا تحمل شحنة ماركسية لأن الماركسيون يرون أن جوهر الايديولوجيا هو إرادة التعبير عن المصالح الحيوية لجماعة أو لطبقة اجتماعية. كما نجد ريمون آرون يرى أن هناك التباس كبير في استخدام كلمة ايديولوجية، فهي تارة تكون ذات معنى حيادي وطورا بمعنى مبتذل ، يقول: "أن هناك تذبذبا في استخدام تعبير ايديولوجيا يتراوح بين المعنى الحجاجي: الايديولوجيا هي الافكار المزيفة، هي تبرير المصالح والأهواء، وبين المعنى المحايد: الصياغة العلمية لموقف معين اتجاه الواقع الاجتماعي أو السياسي"[2] هذا الالتباس في مستوى المفهوم دفع بالعروي إلى نقد الأيدولوجيات كمرحلة أولى في فهم الأطروحات التي تسعى إلى استيعاب الواقع العربي وسر فشلها، لان الايديولوجيا ارتبطت بالوعي الاجتماعي والثورات

[1]- عبد الله العروي: مفهوم العقل، مصدر سابق، ص 17.

[2]- Raymond Aron. trois essais sur l'age industriel. Paris .1966, p 215.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاجتماعية بداية من الثورة الفرنسية(1789م) ويعد (دستوت دوتراسي) في نظر "أدري لالاند" واضع مصطلح الايديولوجيا، في اعقاب الثورة الفرنسة وتم توظيفه خلال القرن التاسع عشر. كعلم يهتم بدراسة الأفكار بالمعنى الواسع لكلمة أفكار وخصائصها وعلاقتها بالوعي الاجتماعي واكتسى المفهوم طابعا ثوريا لتزامنه مع الثورة الفرنسية ليصبح في مرحلة مرادفا لمفاهيم مثل العدالة والاخوة والحرية[1].

ونقد " العروي" بدأ من نقد المفاهيم المستعارة لمعرفة بنيتها والفضاء الذي تشكلت فيه، لأنها لا تنتمي للفضاء الذي استوردها، وقد يكون لها أثر سلبي لأنها في مرحلة ما تتحول إلى مؤشر للحكم، ويطلق "العروي" مصطلح الأيديولوجية أو "الأدلوجة" على ثلاثة أشياء يقول:" أولا ما ينعكس في الذهن من أحوال الواقع انعكاسا محرفا بتأثير لا واع من المفاهيم المستعملة. ثانيا نسق فكري يستهدف حجب واقع يصعب وأحيانا يمتنع تحليله. ثالثا نظرية مستعارة لم تتجسد بعد كليا في المجتمع الذي استعارها لكنها تتغلغل فيه كل يوم أكثر فأكثر."[2]

يعتقد "عبد الله العروي" أنه يتعذر تجاوز ظاهرة التخلف الحضاري إلى بناء نهضة دون مشروع يمس جميع جوانب الحياة بإمكانه تقليص الفوارق بين الآخر المتقدم وبيننا والمدخل يبدأ بإنجاز ثورة ثقافية تمكننا من تأسيس حضاري. لهذا ينبغي في نظر "عبد الله العروي" احداث القطيعة مع كل الممارسات التقليدية التي أصبحت عائق يحول دون تأسيس وعي حضاري، كما ينبغي تجاوز الأسئلة المطروحة على الفكر العربي لأن استمرارها يؤكد على عجز الأطروحات السابقة على تقديم إجابات تاريخية.

إن كل الإجابات المقدّمة بالنسبة لـ"عبد الله العروي" إجابات لم تؤسس لفهم سليم على مبادئ علميّة مما يعني أن هذه الإجابات كانت إيديولوجية حول "الهوية" وهذه الخلفيات الإيديولوجية تخترق الفكر العربي من مستوى التفكير في الواقع إلى مستوى التنظير يقول:"

[1] - André Lalande .Vocabulaire technique et critique de la philosophie. Ed. PUF Paris 1976 p.458.459

[2]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأيديولوجيا دائما وأبدا عبارة عن مصالح".[1] وظل السؤال المسيّطر من هو الآخر ومن نحن؟ وما السبيل لتجاوز هذا الواقع؟

اللحظة التي تعيشها المجتمعات العربية تقتضي الاعتماد على المنهج الماركسي يقول:" إن الحاجة تدعو العرب أو المثقفين العرب على وجه التدقيق. إلى الكلام بلغة ماركس دون الاعتراف وربما الوعي بذلك"[2] لكن الاشكال أن المفكر العربي لم يتمكن من قلب ماركسية ماركس، لم يتمكن التحول من اللاوعي الى الوعي، ينبغي تجاوز التجزئة وتبني فكر تاريخي شامل والماركسية أفضل مدرسة في تراث العالم العربي وهي موجودة في "ماركس الشاب" في مؤلفه :"الإيديولوجيا الألمانية في (1948) و"عبد الله العروي" يعتقد بأن وضعية العالم العربي اليوم تشبه وضعية ألمانيا في عام (1948)، ولإحداث تحول يطرح " العروي" جملة من الأسئلة الماهوية: هل القاعدة المادية هي المحدد لثقافة مجتمع ما؟ هل كل مجتمع قادر على انتاج أدلوجته؟ كيف تتحاور الثقافات المختلفة؟

بدأ "عبد الله العروي" بممارسة النقد على أسس الإيديولوجيا المعاصرة وتوصل إلى التمييز بين ثلاثة أشكال أساسية من أشكال الوعي التي بها حاول العقل فهم واقعه.

خامسا- أشكال الوعي الذاتي وظاهرة التخلف:

1- الوعي الديني:

ويمثله الفقهاء ورجال الدين الذين يقرأون الصراع القائم بين الغرب والعالم الاسلامي اليوم في اطار الصراع التقليدي أي صراع ديني لذلك نجد من يرفع شعار "حوار الأديان"، ورجل الدين يوظف النصوص الدينية لتبرير النجاح كما لتبرير الفشل، وهو الأمر الذي اعتمده " محمد عبده" في رسالة التوحيد، ص 177، الآية16 من سورة الاسراء قوله تعالى: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا". وهنا يتحول الزمن الى علاقة بين الله والانسان، وليس علاقة بين الانسان والانسان او الانسان والطبيعة.

[1]- عبد الله العروي: العرب و الفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4،1998، ص18.

[2]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص31.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن رجل الدين في نظر "عبد الله العروي" أرجع سبب تأخرنا التاريخي لابتعادنا عن قيم العقل والحرية التي أقرّها الإسلام. وهذه القيم أصبحت أساس قمة الغرب وتحضّره فدعا إلى ضرورة العودة إلى تلك القيم الإسلامية الأصل والتي كانت أساس تقدّمنا في الماضي والقيم السائدة في الغرب وهي أساس تقدّمه دائما مفقودة في عالمنا العربي الاسلامي اليوم، فينبغي استعادة الذات.

هذا التيّار يعمل على "قراءة التاريخ" في الصراع الغربي- العربي، والشيخ السلفي يسمع أن سبب تفوق المسيحية على الإسلام راجع إلى عجز الإسلام، فيعود رجل الدين إلى النصوص محاولا استخراج معاني التسامح متهجما على المسيحيين بأحداث تاريخية كسجن "غاليلي" واضطهاد "ج. ج. روسو" ، ويعتمد رجل الدين على الانتقائية التي تقوم على (رؤية الغرب في لحظة تاريخية معينة لافتقاده الرؤية الشمولية، فيرى أن المسلمون قد انفتحوا على الفلسفة اليونانية وعقلانية المعتزلة، وينهي إلى وصف الإسلام بالعقلانية والمسيحية بالتعصب، لكن هناك سؤال يطرح على رجل الدين إذا كان العقل من الإسلام والتعصب من المسيحية فلماذا تأخر الإسلام وتقدم الغرب والتعصب مسيحي؟[1] ورجل الدين يستمر في القراءة الانتقائية ليبرر أن الضعف سببه عدم فهم العقيدة وتطبيقها فعليا في الواقع دون النظر في الأسباب العلمية والموضوعية والتاريخية التي جعلت من الغرب غربا ومن الشرق شرقا. والخطير في هذا التيار أنه "يختزل حياة البشر في الانقياد، يحول العقيدة الى سياسة، كما أنه يحول السياسة الى عقيدة"[2] ويتساءل العروي أي مستقبل لمجتمع هذه هي عقيدته أو سياسته؟

2- وعي رجل السياسة (الليبرالي):

دعا رجل السياسة إلى النهضة بعد رجل الدين ورهن النهضة والحداثة بالإصلاح السياسي مؤكدا أن قيم الحرية والعقلانية لا تؤدي إلى نهضة في ظل استبداد سياسي وقيم الديمقراطية والحرية السياسية التي بُنيت عليها أنظمة الحكم الحديث في الغرب وهي شرط لنهضتنا وأساس حداثتنا العربية، والفرق بين رجل الدين والسياسي هو أن السياسي لم يدّعي

[1]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص41.

[2]- عبد الله العروي: ديوان السياسة ، مصدر سابق، ص57.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لنفسه أن هذه القيم موجودة في تراثنا الإسلامي لكنه اجتهد في نفي تعارضها مع الإسلام، كما عمد الى التميّز بين الإسلام القابل للتكيّف مع أي نظام حكم يختاره المسلمون وبين تاريخ الإسلام الذي لا يخلو من الاستبداد حتى في عصر ازدهاره. وعليه فالسياسي وجد في الفساد والاستبداد التخلف الحضاري وفي ديمقراطية الغرب وحرياته تحررنا من الجهل وتطوير مجتمعاتنا.

وموقف رجل السياسة يرى فيه "عبد الله العروي" موقفا تجزيئيا لا تاريخيا لأنه استبعد أن تكون العقيدة من أسباب تخلفنا، كما لا ينكر الليبرالي أن من أسباب تخلفنا التاريخي الاستبداد، ولكن النموذج الليبرالي مشكلته أنه يعتمد على الغرب في تفسير تاريخنا الخاص وأصبح الآخر هو الذي يحدد الأنا من خلال الإعجاب بفلسفة الأنوار وبفلسفة "مونتسكيو" الذي فكّك الاعتقاد أن التخلف سببه استبداد قديم كرّسه الحكم المطلق. ولهذا وجد الحل في أفكار "روسو" و"مونسكيو" والتخلف لا يكمن في تطبيق الشريعة من عدمها وإنما في غياب الحرّيات السياسية. لكن ينبغي أن ندرك أن الاختلاف بين الشرق يصل حد التناقض فالغرب هو الحرية والشرق الاستبداد، الغرب هو العقل والشرق الحيوانية (المرحلة الطبيعي) ماقبل المدنية، الغرب هو الحاضر والشرق الماضي.[1]

3- وعي رجل التقنية أو التكنوقراط.

اختزل رجل التقنية قوة الغرب في العلوم التطبيقية وإنجازاته الصناعية مقللا من شأن إصلاحاته الدينية وثوراته السياسية يقول: "ليس الغرب دينا بدون خرافة ولا دولة بدون استبداد، الغرب بكل بساطة قوة مادية اصلها العمل الموجه المفيد والعلم التطبيقي. هذا ما يقرره بعنف الزعيم الجديد ساخرا من اوهام الشيخ والسياسي الليبرالي."[2] وقد قال " موسى سلامة" في احدى محاضراته للطلبة في الجامعة " أن الفرق بيننا وبين الأوروبيين المتمدنين هو الصناعة، وليس شيئا غير الصناعة وكثيرا ما يستدل رجل التقنية على أطروحته بما حققه اليابان متسائلا عن خروج اليبانيين من عزلتهم وتخلفهم في فترة قصيرة من الزمن لماذا

[1]- عبد الله العروي: ديوان السياسة، مصدر سابق، ص06.

[2]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص47.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استطاع اليبانيون في فترة قصيرة أن يتفوقوا على أمم كثيرة من الجنسين الأبيض والأصفر؟ لأنهم أدركوا أن سر الحضارة الغربية يكمن في التقنية فلماذا لا نفعل مثلهم ونقوم بضغط التاريخ بدلا من اعادته.

ورجل التقنية يرفض أفكار رجل الدين والسياسة لأن كليهما ربط تقدم الغرب إما بالإصلاح الديني أو غياب الاستبداد، ويجعل التقني نموذج النجاح الأخذ بأسرار التكنولوجيا وتوظيفها في تقدم المجتمع. ويقدم مثالا على بريطانيا التكنوقراطية نجحت في عهد المستبد (كرومول)، وإنجازات فرنسا في عهد (نابليون) ليصبح التفاوت التاريخي سببه التفاوت التكنولوجي والصناعي والمعرفة العلمية التقنية، مستبعدا أهمية نقد التاريخ الإسلامي ولا داع في نظره لإعادة تفسير الدين ونصوصه فمثل هذا النقد لا معنى ولا قيمة حضارية تُرجى منه في التقدم. كما أن رجل التقنية لا يهمه ماضي العرب وحقائقهم التاريخية ليصبح سؤال سبب التأخر التاريخي لا معنى له وامتلاك المستقبل بامتلاك التقنية. مثل هذا الوعي في نظر " عبد الله العروي "هو وعي مقطوع عن التاريخ لأنه انتقائي، والتكنوقراط رأى أن الغرب في لحظة تفوقه التقني معزول عن سياقه التاريخي. لكن هل هذه المستويات من الوعي هل تعكس مراحل التطور السياسي والاجتماعي؟

سادسا- الأيديولوجيا وظاهرة الاغتراب:

يجيبنا "عبد الله العروي" في قوله: "كثيرا ما نلاحظ تفاوتا في الوتيرة بين تحولات الثقافة وتطورات السياسة عندنا كما لم يلاحظ قط في أية بقعة من المعمورة تطابق زماني قام بين المذاهب الفكرية والمجتمعات الملائمة لها والأشخاص الداعين إلى اعتناقها"[1] فالشخصيات الثلاث التي اختارها العروي (الشيخ، الزعيم السياسي، وداعية التقنية) تمثل لحظات ثلاث يمر بها تباعا الوعي العربي وهو يحاول منذ نهاية القرن الماضي ادراك هويته وهوية الغرب، لكن هذه النماذج لا تجتمع في رجل واحد أو في لحظة تاريخية محددة أو مجتمع معين، وهنا نجد أنفسنا أمام اشكالية علاقة الوعي بالمجتمع؟ أو علاقة

[1]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص50.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النخب بالمجتمع الذي تنتمي اليه وتعبر عنه؟ كل هذه الأشكال تعبر عن علاقة الأنا بالآخر، لكن هل هذه النماذج من الوعي تتعاقب داخل التاريخ أم لا؟

استوحى " العروي" هذه النمذجة من ثلاث شخصيات (محمد عبده، لطفي السيد، سلامة موسى) وهذا التحقيب المقترح ثقافي لا يطابق بالضرورة مرحلة التطور السياسي، لأن الشيخ لا يختفي بانتهاء الاستعمار، والليبرالي لا يتوارى مع دولة الاستقلال، وداعية التقنية لا ينتظر تأسيس الدولة القومية، فكثيرا ما نلاحظ تفاوت بين الأطروحات الفكرية وبيئتها الثقافية، لأن بعض الأفكار تتمتع بالقدرة على الإختراق والتجاوز، والعروي يجعل من رجل الدين بمثابة صوت الواجب ومن السياسي صوت الواقع ومن رجل التقنية صوت المستقبل، لكن الوعي في مختلف اشكاله لا يطرح سؤال المستقبل والمصير إلا في حالة تعرضت البلاد لغزو خارجي، حينها يصبح وعي رجل الدين فعالا كما هو اليوم، في زمن ما بعد الحداثة وما بعد الانوار اين انكفأ العقل الغربي على مراجعة ذاته عبر النقد نلحظ كل نقائض العقل تشتغل في أوطاننا وتخفوا كل الأصوات ليرتفع صوت رجل الدين، هذا هو الزمن الرديء . زمن تتفكك فيه النخب ليشتغل الوعي السياسي في تشكيل الوعي دون قلل ويشتغل فيه وعي التقنية في عهد الدولة القومية أين تسيطر فئة برجوازية على مقدرات البلاد، لكن في حالة العالم العربي الراهن كل أشكال الوعي تتشابك وتستمر في تزييف الواقع يقول العروي:" لا سبيل الى انكار تساكن أشكال الوعي في الدولة الواحدة ومع ذلك يبدوا ذلك التساكن (ما يسمى أحيانا بالسانكرونيا) أقل أهمية منهجيا من التعاقب الزمني. (الدياكرونيا). إن التعاقب. ان لم نقل التولد، هو الذي يعبر لكل شكل وعي وزنه النوعي."[1]

إننا مطالبون اليوم بضرورة فهم طبيعة العلاقة بين هذه النماذج من الوعي لكي لا نستمر في تشويه الواقع وتعميق الأزمة، هذه النماذج لا شك تختلف في اجابتها عن السؤال ما هو الغرب؟ حسب مرجعياتها، لكن ينبهنا العروي الى أن الوعي العربي يواجه غرب اليوم بوعي القرن الثامن عشر والقرن العشرين وعي لم يعد الغرب يعتمده للنظر الى ذاته، وهنا اشكال منهجي بسبب التفاوت الحضاري مما أوقع الوعي العربي في التجزئة، لأننا نريد ادراك الغرب في

[1]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص52.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لحظة الأنوار والغرب تجاوز تلك اللحظة، كما يعني أننا لم ندرك لحظة عنفوان العقل الغربي وجرأته وحالة خروجه من ذاته يقول العروي: " اذا ما أصبح العقل العربي نقديا بالفعل وتوصل عندئذ الى نظرة انسانية شمولية، سيوافي الغرب حيث يراوح هذا الأخير خطواته منذ القرن الماضي، فيمكن لأول مرة أن يتعرف العقلان الواحد على الآخر ويدشنان عهد حوار حقيقي"[1].

العقل العربي أمامه مهمات ضخمة لإنجازها وتتعاظم هذه المهمات يوما بعد يوم خاصة بعد سقوط بعض الأنظمة الشمولية ما يستدعي من المفكر اعادة النظر في علاقته مع الواقع وهذا لا يعني أن الوعي العربي (المفكر\المثقف العربي) مقطوع الصلة بواقعه نهائيا لكن "عبد الله العروي" يرى أن هذه العلاقة سطحية غير مباشرة ومن ثمة فالوعي لا يعبّر عن الواقع لأنه يستند إلى بنية اجتماعية مغايرة. ويصر العروي على ضرورة ربط الوعي العربي بالوعي الغربي وتطوّره ويكون العروي بهذا قد أنكر الأصالة والإبداع عن الفكر العربي لأنه مجرد ظلال باهتة للآخر. لأنه فكر مستقل ومستقيل لا يعكس حركة المجتمع العربي الذي يتحدث عنه ولذلك فتحليل بنية الفكر العربي مشروطة بأن تمر عبر تحليل بنية الفكر الغربي وكأن الغرب أصبح أحد بنيات الفكر العربي لأنه لم يساير تطوّر المجتمع وتغيّره في التاريخ، والنّخب تعيش حالة الاغتراب المزدوج وحالة الاستيلاب الحضاري تمظهر في الإخفاق في فهم الواقع وتحديد الذات لكن الآخر كان عامل هام في تحديد الذات وانتقالها من الدولة الدينية إلى الدولة المدينة. فما الحل وما العمل الذي يقترحه "عبد الله العروي"؟

يرى "عبد الله العروي" أولا: ضرورة وعي التفاوت الحاصل بين المجتمعات العربية لكي نعرف مبررات استمرار خطاب ما في مجتمع معين وفي مجتمع آخر خطاب مغاير. فمثلا نعرف لماذا استمر "محمد عبده" في مجتمع ما ؟ واستمر "سلامة موسى" في مجتمع آخر كما ينبّهنا ثانيا "عبد الله العروي" إلى إشكالية علاقة الإيديولوجيا العربية المعاصرة بالمجتمع وقدرة تأثيرها وعلاقتها بأشكال الوعي الغربي لأن موقف المثقف العربي من الغرب يعكس مستوى الوعي

[1]- عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص255.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربي ومرجعياته وفكرتنا عن الغرب كامنة في وعي كل مثقف منا فما هي عوامل ضعف الإيديولوجيا العربية؟

سابعا- مستقبل الحداثة العربية:

يعتقد عبد الله العروي أن المجتمعات العربية تمتلك امكانات النهضة وتحولها الى مجتمعات حداثوية. لكن تحولها وانتقالها إلى الحداثة مرهون بتمثل قيم ومقولات الفكر الغربي الحديث التي أنتجت الأنوار من عقلانية وحرية ومسئولية الإنسان عن نفسه، ومن نقد وفردانية، وعلمانية والفكر الماركسي والدولة المركزية[1]، على المستوى النظري والعملي. ويقترح عبد الله العروي آلية نظرية لحصول عملية الانتقال والتحول الجذري وهي مفهوم "القطيعة المعرفية" مع التراث. والقطيعة الابستيمولوجية تفيد نهائيا القطع مع الطرائق والمناهج العقلانية للبحث الفكري الفلسفي التي استخدمت في التراث، لأنها لم تعد تستجيب لمشكلات الواقع الراهنة وهذا موقف سلبي واضح من التراث، والاستعاضة عنها بالأساليب والمناهج العقلانية العلمية الحديثة والمعاصرة. والحداثة حتمية تاريخية في نظر العروي مما يعني أن مفكرنا يفكر مع ماركس ومن خلاله فأخذ بالتاريخ وبالنزعة التاريخانية انطلاقا من مفهوم حتمية التاريخ لهذا لا بديل للشعوب العربية عن تبني الحداثة في شكلها الغربي لأن« العالم العربي لايستطيع أن يقدم بديلا للحداثة التي نشأت في الغرب ... وغدت حتمية عالمية»[2]

وهذا المفهوم والتحديد المنهجي هو مفهوم مركزي في مشروع العروي يخترق كل اعماله يقول: "حاولت في كل ما كتبت أن أوضح أن الوضعية التاريخية التي نعيشها، والتي لا نستطيع أن ننفيها، تجعل من كل أحكامنا على حالات خاصة أقوالا هادفة، مصلحية تبريرية. لا فائدة في الحكم عليها بأنها حق أو باطل. بالنسبة لأي مقياس؟ فهي إما مساوقة لأهدافها المعلنة وإما معاكسة لها، فتصبح المسألة متعلقة فقط بالتماسك في المنهج والانطباق على الواقع. إذا اتضح أن عهد التقرير (اعلم أن..) قد انتهى بانحلال قاعدته المادية والاجتماعية والفكرية،

[1]- عبد الله العروي: الحداثة وأسئلة التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك الدار البيضاء، ط1، 2005، ص103.

[2]. Driss Mansouri: "Penseurs Maghrébins contemporains", Ed. Eddif .Maroc 1993. p.213.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك عهد منطق المناظرة (إذا ... فالجواب..)، يتضح عندئذ أنه لم يعد هناك بداهة جاهزة، ضرورة منطقية، يركن إليها الجميع تلقائيا وتتماسك بها الأفكار. لا بد إذن من امتلاك بداهة جديدة. وهذا لا يكون إلا بالقفز فوق حاجز معرفي، حاجز تراكم المعلومات التقليدية، لا يفيد فيها أبدا النقد الجزئي، بل ما يفيد هو طي الصفحة.. وهذا ما أسميته ولا أزال أسميه بالقطيعة المنهجية".[1]

العالم العربي يعيش مأزق على مستوى المنهج لأن المنهج موضوع مجموعة من المفاهيم، تتعلق قضاياه بوضعنا الذي نعيشه منذ أكثر من قرنين، والمأزق سببه القطيعة التي حدثت بيننا وبين منجزات تراثنا الثقافي والفكري والفلسفي والعلمي وحتى السياسي. ويطرح العروي اشكالية تموضع الباحث المنهم بمشكلات العالم العربي هل يضع الباحث نفسه قبل أو بعد هذه القطيعة مع التراث؟ وهي قطيعة تعمقت في التاريخ. هل ينبغي أن يشعر بها، ويعترف بها، أم لا؟ ويميز العروي بين المنهج والأسلوب. مقدما لنا مثال فالأسلوب موضع اختيار نستطيع مثلا أن نفاضل بين المدارس الاقتصادية، ولكن هناك منهج أساسي واحد هو الأصل في علم الاقتصاد، وعلى هذا المستوى لا يوجد خيار: إما العلم وإما الرأي. ويقصد العروي بالمنهج منطق الفكر الحديث والمعاصر بعد الثورة على مقولات العلم القديم. ما الشروط العلمية والعملية لتحول المجتمعات العربية الى الحداثة هي ضرورة البدء بإنشاء الدولة الحديثة. بعد وعي المفهوم في مستواه النظري وعيا شاملا والعروي يرفض محاولات التحول الجزئي (الديمقراطية، الليبرالية، المجتمع المدني...الخ) إلا بعد إقامة الدولة الحديثة، وهذا هو الموضوع المركزي في (مفهوم الدولة). يقول:" كل منا يكتشف الدولة قبل أن يكتشف الحرية... تجربة الحرية تحمل في طياتها تجربة الدولة".[2]

وتوجد علاقة عضوية بين الحرية والدولة فلا حرية الا داخل الدولة ولا حرية الا الحرية المسؤولة المعقلنة، ويوجد تلازم بين هذه المفاهيم والدولة الحديثة هي دولة الديمقراطية والديمقراطية مبنية على الحرية، يقول:" لقد كتبت كتابا عن موضوع الدولة

[1]- عبد الله العروي: مفهوم العقل، مصدر سابق، ص 12.

[2]- عبد الله العروي: مفهوم الدولة، المركز الثافي العربي، ط9، 2011، ص05.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القومية، ودافعت فيه عن الدولة الاقليمية"[1] ويطلق مفهوم الدولة الاقليمية على الدولة القومية، الدولة في تصور العروي أولا هي "أدلوجة" ومعطى بديهي لأنها ضرورة أنطولوجية، وكل سؤال حول الدولة هو اعتراف بأسبقيتها عن السؤال، انها ظاهرة اجتماعية وكل تفكير في الدولة لا يخرج عن التفكير في محاور ثلاثة" الماهية، التطور، الوظيفة" وسؤال الدولة سؤال هو موضوع للفلاسفة والمؤرخين وعلماء الاجتماع، فالسؤال ماهي الدولة؟ سؤال ماهوي يطرحه الفيلسوف بغية النفوذ الى الأسس، وسؤال كيف تتطور الدولة؟ هو موضوع للمؤرخ لمعرفة أسباب التطور والتحول، أما سؤال ما الوظيفة؟ فهو سؤال يطرحه علماء الاجتماع لتحديد دور الدولة وعلاقتها بالمجتمع وكيف تعمل على تنظيمه، والعروي يستعير التصور الهيغلي لمفهوم الدولة باعتبارها "تجسيد للإرادة العامة الجوهرية، وهي العقل في ذاته".[2]

وللعروي موقف سلبي من هيغل لأن هيغل لم يدرك البتة مفهوم الدولة لانصرافه عن الواقع الى الدولة المثلى، كما توجه بالنقد لعالم الاجتماع "ماكس فيبر" الذي رأى في مفهوم الدولة ظاهرة غربية، ويكون بهذا عبد الله العروي قد طرح الأسئلة الثلاثة، لأنه يضع نفسه في خانة المؤرخين، ويصرح أنه يميل للدراسات الاجتماعية، وفي نفس الوقت يقرأ للفلاسفة[3]،رغم محاولاته الابتعاد عن الفلسفة، لكنه لم يستطع التفكير خارجها، وهذا ما يؤكده عبد السلام بنعبد العالي في قوله :« إلا أننا نلفي عندنا مفكرين أقرب إلى الفلسفة لا يكتبون فيما عهدنا أن نطلق عليه مؤلفات فلسفية مثل الخطيبي الذي يصرح بأنه يكتب على هامش الفلسفة، والعروي الذي يوظف مفاهيم الفلسفة ويتغذى من منابعها، ويرفض صراحة أن يلقب فيلسوفا، فيميز بين اجتماعيات الثقافة وبين ما يطلق عليه الإغراق في التأمل النظري»[4] ولكن إذا كانت الدولة ترادف الأدلوجة فإن الأدلوجة وظيفتها أن تكون انعكاس للواقع المعاش لا

[1]- عبد الله العروي: التعايش بين التقليد و الحداثة ..غير ممكن، حوار مجلة اطروحات، العدد 16، 1990، ص21.

[2]- عبد الله العروي: مفهوم الدولة، مصدر سابق، ص47.

[3]- عبد الله العروي: الحداثة وأسئلة التاريخ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك الدار البيضاء، ط1، ص 11.

[4]- عبد السلام بنعبد العالي: الفكر الفلسفي في المغرب "دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، 1983 ، ص 8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كحقيقة في ذاتها، فالأدلوجة تعني قدرة استيعاب الواقع، لتصبح الدولة هي معيار تخلف وتقدم الشعوب. الا أم "الدولة العربية مبنية على أساس اجتماعي معين، تهدف بالضرورة الى المحافظة على توازن القبائل والعشائر والأسر، وبالتالي المحافظة على الجنس".[1]

ثامنا- عوائق التحديث وامكانات التجاوز:

عمل العروي على اجمال عوائق تحول المجتمعات العربية الى الحداثة بعد القراءة التاريخية والنقدية وسنشير الى أخطرها:

1- العائق الأول: اشكالية الاصالة وتعني تمسك النخب العربية الباحثة بأساليب فكرية تقليدية لم تعد قادرة على فهم الواقع ولا مسايرة منجزات الحداثة مما أسهم في ثبات المجتمعات ورفضها للتطور وكل ما هو حديث، وانعكس هذا الوفاء للماضي على اللغة وبنيتها الاصطلاحية، في أولوية الاسم على الفعل. يقول إن:" خلاصة القسم الأول هي أن عقل المطلق، رغم اختلاف المشارب والمسالك، يؤدي حتما إلى عدم التمييز بين المفهومين. العقل فعال بطبعه: يقول ذلك بعبارات متباينة غير متناقضة الحكيم والمتكلم والمتصوف والفقيه والمحدث. تحارب هؤلاء فيما بينهم حروبا عنيفة لكن على الأطراف والتخوم لا على المعاقل والحصون. اختلفوا حول العبارات والأحكام، أما التصورات والتوجهات فكانت واحدة..."[2]

2- العائق الثاني: أخطر لأنه متعلق باعتقاد بعض النخب بإمكانية تجاوز الحداثة الغربية لأن الحداثة الغربية تجاوزت ذاتها الى ما بعد الحداثة، وكأن التجاوز عبر النقد دليل على عدم ضرورتها تاريخيا. لكن العروي يرى أنه لا يمكننا القفز فوق التاريخ وفوق مرحلة الحداثة. ويعتبر الحداثة قدر الشعوب العربية كغيرها من المجتمعات، ويقترح العروي آلية علمية لتجاوز الحداثة عبر استيعابها، فلا يمكننا أن نسير ضد الحداثة فتلك مخاطرة كبيرة، لذلك يرى أن معارضة الحداثة من أكبر العوائق وفعل غبي نابع عن جهل[3]، كما أن التأييد الماكر يعطل فعل

[1]- عبد الله العروي: مفهوم الدولة، مصدر سابق، ص123.

[2]- عبد الله العروي: مفهوم العقل، مصدر سابق، ص359-360.

[3]- عبد الله العروي: الحداثة وأسئلة التاريخ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك الدار البيضاء، ط1، 2005، ص54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحداثة. وهذا لا يعني أن العروي تماهى مع الحداثة ومقولاتها وانما عمد الى نقدها. لتذليل كل ما يعطل فعل التحديث من استبداد سياسي واجتماعي (العائلة، القرية، القبيلة...) وثقافي ضد الحريات المدنية والسياسية .وكل ما يعوق الديموقراطية في سيادة الشعب[1]. يقول: "إن الديمقراطية الحديثة مبنية على منطق الإنسان الاجتماعي الذي يحاور ويناقش، ويصوت في شؤون الجماعة مقيدا فقط ببنود الميثاق الاجتماعي[2] "وينبغي مقاومة كل ما يعوق العقلانية العلمية بفعل سيطرة الغيبيات والأسطورة في حياتنا. كما ينبغي على المجتمعات العربية المعاصرة تجاوز فكرة الخلافة وحكم الشورى نهائيا لأنه لا يحتكم لمنطق المجتمع، وانما لمنطق الجماعة، فعلينا كمجتمعات التحول من الحق الالهي الى الحق المدني ومن القانون المستوحى من النصوص الدينية الى القانون المستوحى من العقل والعقد الاجتماعي، لكن العروي يتساءل عن امكانية التجاوز والتحديث في لحظة دخول المجتمعات العربية عصر الفوضى الفكرية؟.

3- العائق الثالث: من العوائق يشير العروي الى اشكالية الاعتقاد أن شراء أشياء الحداثة في صورتها المادية يكفي لفعل التحديث، أو ما يسميه بالتطبيق الشكلي للأنظمة الحداثية، وهذا أكبر خطأ لأنه ينبغي وعي الحداثة فكريا والغوص في أعماقها، والتحول ينبغي أن يكون تحولا في منظومتنا الاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية والعقدية حداثة شاملة. لأن المجتمعات العربية لا تزال تعيش على هامش الحداثة ويوجز العروي سمات الحداثة الشاملة التي تجعلها بنية تاريخية وفكرية مختلفة نوعيا وجذريا عن التقليد حيث يقول أنها "تنطلق من الطبيعة معتمدة على العقل، لصالح الفرد، لتصل إلى السعادة، عن طريق الحرية"[3] والحداثة في مشروع العروي هي مجموعة من السيرورات المتعاقبة فكريا وزمنيا تطال كل البنى دون استثناء. فهل نملك شروط انجاز الحداثة؟

4- العائق الرابع: العوامل اللاتاريخية وتتمثل في لا تاريخانية أشكال الوعي العربي ويقصد به العروي ضعف الوعي العربي وكذا لا تاريخية علاقة أشكال الوعي العربي بالوعي الغربي التي

[1]- عبد الله العروي: التحديث و الديمقراطية(حوار)، مجلة آفاق، 1992، ع 4 - 3، ص 161.

[2]- عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، الدار البيضاء 1998 ، ص 40.

[3]- عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، ص108.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استقى منها المفكر أفكاره وفُرضت عليه. والمقصود بلا تاريخانية أشكال الوعي العربي أن المجتمعات العربية منذ صدمة الحداثة تواجه غربا تجاوز أشكال الوعي الأصلي (وعي جون لوك ومونتسكيو فلاسفة الأنوار في القرن (18م)[1] ووعي سان سيمون، والاقتصاديون، والوعي الذي يتحكم في غرب القرن (19م)، و(20م) هو وعي صاحب رأس المال والغرب لم يعد يتعرف على ذاته في وعي القرن (19) وأفكاره الاجتماعية والسياسية وقيمه الإنسانية. ولم يعد يقدّم نفسه للآخر (العرب) من خلال الأنوار. لأن الوعي العربي لم يستطع التعرف على الغرب في كليته كتاريخ مباشر وإنما تعرف عليه عبر الاختزال والانتقاء والتفصيل والهوامش والاستشراق.

الوعي العربي (المثقف) وجد غربا مزدوجا مطابقا للواقع ووعي آخر مخالف ومنحرف عن الواقع (الأدلوجة)، لكن الغرب أدرك واقعه التاريخي وجدد وعيه بذاته بوعيه الخاص لا بوعي الآخر، في حين أن العرب أدركوا واقعهم في العصر الحديث بوعي الغرب لذلك الوعي العربي غير مطابق للواقع لأنه لا تاريخي يقول "عبد الله العروي": «اللاتاريخانية واقع لا يجب التغافل عنه إن كنّا نمسك بمبحث الحداثة والتطوّر الإيديولوجي».[2]

تاسعا- في نقد أطروحة العروي:

لم تسلم مواقف العروي الفكرية من النقد فالبعض أمثال جابر عصفور وهو من بين المهتمين بأعمال العروي رأى أنه -العروي- وقع ضحية أفكاره لاعتماده على مناهج غربية لتفسير واقعنا، "حتى وإن داعى المفكرين الى وعي انتقادي والى التشكيك في تكنوقراطية الغرب وعاطفة العرب".[3]لم يستطع العروي في نظر منتقديه التخلص مما داعى اليه رغم اسهاماته في الفكر العربي عبر مؤلفات وفي جوهرها تعبير عن هم وقلق اتجاه مآلات مجتمعاتنا، جهد كبير من حيث الترسانة المفهومية والمصطلحية والمنهجية لكن لم ينزل للواقع ويلامسه، يقول حسن حنفي "تحولت ثقافتنا الى وكلاء حضارية وامتداد لمذاهب غربية اشتراكية ماركسية وجودية وضعية

[1]- عبد الله العروي: مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2001،ص 23-24.

[2]-عبد الله العروي: العرب و الفكر التاريخي، ص 88.

[3]- جابر عصفور: ترجمة الايديولوجيا العربية المعاصرة، العربي، مجلة تصدرها وزارة الاعلام الكويت، ع455، اكتوبر 1996، ص08.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شخصانية بنيوية، حتى لم يعد أحد قادار على أن يكون مفكرا أو عالما أو حتى مثقفا، إن لم يكن له مذهب ينتسب اليه فتفرقنا شيعا وأحزابا وضاعت الثقافة الوطنية"[1]. ومشكلة العروي أنه رأى في الماركسية حتمية منهجية وفي الحداثة الغربية حتمية تاريخية، ينبغي أن تمر بها المجتمعات العربية، وكأننا أمام نموذج حضاري واحد، في حين توجد نماذج حضارية مختلفة تماما مثل النموذج الياباني الذي لا يمكن فهمه بمنطق الحتمية التاريخية، نموذج استند على مكونات هويته وطبيعة أفراده ليؤسس لنمط حداثي مختلف، ويكون بهذا العروي قد نادى بالحرية لكن عمل على تضييقها الى درجة نفي نقائضها، ولم يترك للوعي العربي حرية الاختيار.

ومن بين مواطن ضعف أطروحة العروي تجاهلها للسياقات واختلافها، فنجده يدعو الى الماركسية وبعدها التاريخي، والماركسية تهتم بتطور المجتمعات في التاريخ، في حين مفكرنا يدعو الى القطيعة مع التراث، وهو نفسه يأخذ بتراث الماركسية، التي لم تعد تستجيب للواقع، والغرب يعيش لحظة مابعد الماركسية في ظل مدرسة فرانكفورت المعاصرة، فكيف تفشل الماركسية في بيئة أنتجتها وتنجح في بيئة غريبة عنها، لم تنجح الماركسية في المانيا ولكنها نجحت في روسيا لمدة قصيرة من الزمن. يقول حسن حنفي في اشكالية التبيئة المفهومية " اذا درسنا الفلسفة الغربية فإننا ننتزعها من بيئتها وكأن ديكارت وكانط وهيغل وماركس ونيتشه وهوسرل وبرغسون وسارتر وميرلوبونتي وهيدجر نجوم لامعة نتأملها ونعجب بها، بل ونحكم عليها على صدقها او بطلانها بحجج الذوق السليم او العقل الصريح."[2] دعانا العروي الى التخلص من ذهنية التقديس والتأليه لنجده يرى في الماركسية الحلو لا حل خارجها.

إن دعوة العروي للماركسة وللحداثة الغربية يعني أنه يتنكر لمنجزات الحضارة العربية الاسلامية، التي أعطت درسا للبشرية في العقلانية والانسة مع المعتزلة وابن رشد وابن مسكويه والتوحيدي في العلوم الانسانية، ومع ابن الهيثم والخوارزمي في العلوم العقلية والطبيعية، فيكون "العروي استلهم الجواب من الماركسية ليمارس بذلك عنفا على النص التراثي بمحاولة

[1]- حسن حنفي: الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول، تنظيم الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، نوفمبر1987، ص31.

[2]- حسن حنفي: الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، ص18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تخليص الوعي العربي منه وتقويض السند الذي يسند الخطاب السلفي، الذي يشد الانسان العربي الى التخلف، وهو لا يستمد مفاهيمه الأساسية بل يشرحها".[1] ومثل هذه المواقف لا تؤسس لفكر مستقل في اطار الكوني، لان الفكر الحقيقي هو الذي يمتلك القدرة على الانسجام مع واقعه واستيعاب مكوناته، فالفكر تعبير عن هوية حتى وان اعتنق الكوني، يقول عبد الرحمان بوقاف "هذا يؤدي بالفلسفة العربية الى ان تنشأ مقطوعة الصلة بالهوية والانحياز للآخر دون معرفة بدلالات القديم وتقليد الجديد الغربي، المتمثل في فلسفاته التي تزرعها فلا هي أنبتت فلسفة في أرض جديدة ولا هي احتفظت بحياتها في أرضها القديمة".[2]

ويتساءل الدكتور اسماعيل زروخي الا تبدوا هذه الدعوة ذاتها اغترابا في فكر العروي؟ اذا كيف يمكن الاعتماد على فكر هو ذاته يعاني اغترابا في منظوره؟ لكن "حتى وان سلمنا مع العروي بأخذ الفكر التاريخي النابع من غرب الحلم فهل فعلا يستطيع هذا الحلم ان يخلصنا من آلامنا التي هي نابعة من الغرب ذاته في كثير من جوانبها".[3]كما تعرضت دعوة العروي للحداثة الغربية الى انتقادات لتجاهلها لمآلات الحداثة الغربية، لأن الغرب يعيش لحظة ما بعد الحداثة، فإذا أردنا أن نقلد الغرب أو نعيد تاريخه فلماذا لا نتبنى غرب مابعد الحداثة. يقول وميض مضمي: " كانت كتابات العروي سجالا ضد الفكر العربي المعاصر او الأدلوجة العربية المعاصرة، لأنها أوهام وتخيلات لم ترق إلى التعبير الحقيقي للواقع العربي أي عدم مطابقة الفكر للواقع وبهذا السجال يكون العروي قد ازدرى المجتمع العربي بالدرجة الأولى".[4]إن هذه الانتقادات ضرورية تموضع أطروحة العروي في مرحلة النقد، وممارسة الأطروحات النقد على بعضها البعض ظل غائبا في ثقافتنا لعدة قرون من الزمن، الى درجة عدم تحاور المشاريع نقديا

[1]- عبد الرحمان بوقاف: التيارات الفلسفية الغربية الحديثة و اثرها على الفكر العربي، اشراف اسماعيل زروخي و اخرون، منشورات المخبر الدراسات الفلسفية و التاريخية، جامعة منتوري قسنطينة، جويلية2003، دار الهدى للنشر و التوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص21-22.

[2]- عبد الرحمان بوقاف: التيارات الفلسفية الغربية الحديثة و اثرها على الفكر العربي، ص23.

[3]- اسماعيل زروخي: التيارات الفلسفية الغربية الحديثة و اثرها على الفكر العربي، ص37.

[4]- وميض مضمي: قضايا اشكالية في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط3، 1995، ص109.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على خلاف مايجري في الثقافة الغربية التي تطورت بفعل قوة النقد. مثل ما حدث مع أساتذة الشك (ماركس، نيتشه، فرويد).

خلاصة:

وكخلاصة لهذا المقال الذي حاولنا فيها لامساك بالخيط الناظم لمشروع المفكر عبد العروي، عبر الاستماع للمفكر في عديد من القضايا الراهنة قبل تسليط النقد، فركزنا على ظاهرة الوعي الذاتي العربي وكيف تتفاعل في قراءة الواقع وفي تأويله وتفسيره وفي اعادة تشكيله، وأشكال الوعي في أطروحة " العروي" لا حظنا أنها مجرد تعبير عن علاقة نخبنا ومفكرينا وفلاسفتنا بواقعهم، نخب في غالبيتها لا تزال في حالة اغتراب عن الواقع لم تقترب منه ولمتلامسه للتماهي فيه، خاصة اليوم ومآلات مجتمعاتنا الظلامية نتيجة تأخرنا في الاستثمار في منجزات العلوم الانسانية والاجتماعية الحديثة ونتيجة غياب التفكير النقدي والفلسفي.

لكن هذا العنف ضد العقل والوعي والحرية والانوار هو اعتراف أن المستقبل يتشكل وكأن بالعنف يصبح ضرورة بلغة "نيتشه" ليحصل تحولا لهذا اعتقد "عبد الله العروي" أن الحداثة تقتضي القطع مع الماضي نهائيا يقول ينبغي أن: "نودع المصطلحات جميعها، نكف عن الاعتقاد أن النموذج الإنساني وراءنا لا أمامنا، وأن كل تقدم إنما هو في جوهره تجسيد لأشباح الماضي، وأن العلم تأويل لأقوال العارفين، وأن العمل الإنساني يعيد ما كان ولا يبدع ما لم يكن ... صيرورة الواقع الاجتماعي، نسبية الحقيقة المجردة، إبداع التاريخ، جدلية السياسة تلك هي معالم الفكر العصري وقوام المجتمع العصري"[1]، كما وجه العروي نقدا لمنتقدي الحداثة والداعين لما بعد الحداثة في الفكر العربي، والمفكر العربيلا يمتلك حق تصحيح مسار الحداثة لأنه لم يعش في كنفها ، وأطلق العروي لفظ الردة الفكرية على النقد الذي تمارسه النخب العربية على الحداثة الغربية، وهناك ثلاث ثورات لم ننجزها بعد وهي: الثورة الدينية (بالقطع مع التراث)، والثورة الصناعية (استعارة التقنية) والثورة الديمقراطية (بناء الدولة الحديثة).

[1]-عبد الله العروي: الايديولوجيا العربية المعاصرة، مصدر سابق، ص16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*** قائمة المراجع:**

أ- باللغة العربية:

1- جابر عصفور: **ترجمة الايديولوجيا العربية المعاصرة**، العربي، مجلة تصدرها وزارة الاعلام الكويت، ع455، اكتوبر 1996.

2- حسن حنفي: **الفلسفة في الوطن العربي المعاصر**، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول، تنظيم الجامعة الأردنية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، نوفمبر1987.

3- عبد الرحمان بوقاف: **التيارات الفلسفية الغربية الحديثة واثرها على الفكر العربي**، اشراف اسماعيل زروخي واخرون، منشورات المخبر الدراسات الفلسفية والتاريخية، جامعة منتوري قسنطينة، جويلية2003، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

4- عبد السلام بنعبد العالي: **الفكر الفلسفي في المغرب**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

5- عبد الله العروي : **أزمة المثقفين العرب تقليدية أم تاريخانية؟**، ترجمة. ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 1978.

6- عبد الله العروي: **الايديولوجية العربية المعاصرة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995.

7- عبد الله العروي: **التحديث والديمقراطية** (حوار)، مجلة آفاق، 1992، ع 4 - 3.

8- عبد الله العروي: **التعايش بين التقليد والحداثة ..غير ممكن**، حوار مجلة اطروحات، العدد 16، 1990.

9- عبد الله العروي: **الحداثة وأسئلة التاريخ**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك الدار البيضاء، 1ط، 2005.

10- عبد الله العروي: **العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي**، الدار البيضاء، ط4، 1998.

11- عبد الله العروي: **مفهوم التاريخ**، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 1992، ج2.

12- عبد الله العروي: **مفهوم الحرية**، المركز الثاقي العربي بيروت، ط5، 1993.

13- عبد الله العروي: **مفهوم الدولة**، المركز الثاقي العربي، ط9، 2011.

14- عبد الله العروي: **مفهوم العقل**، المركز الثاقافي العربي المغرب، ط3، 2001.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

15- عبد الله العروي: **من ديوان السياسة**، المركز الثقافي العربي المغرب، (د.ت).

16- وميض مضمي: **قضايا اشكالية في الفكر المعاصر**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط3، 1995.

ب- باللغة الأجنبية:

1. André Lalande .Vocabulaire technique et critique de la philosophie. Ed. PUF Paris 1976.

2- Driss Mansouri: "Penseurs Maghrébins contemporains", Ed. Eddif .Maroc 1993.

3- Levinas Emmanuel. Le temps et l autre. Edition PUF. Quadrige. Paris. 1983.

4 - Raymond Aron. trois essais sur l'age industriel. Paris .1966.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com